(( الأمن الأمن ))

عبدالله بن محمد حفني

إمام وخطيب جامع هيا العساف بالجميزة

الأولى

الحياة، والشباب، والمال، والصحة، والوالدان، والسعادة، كلمات يسيرات لكنها حوت معنى الحياة فهي نعم عظيمة، وفرص ثمينة، فوالله وتالله وبالأقسام كلها، مهما أوتيت من الفصاحة وبراعة الإلقاء، ومهما جمعت من كلام العرب والبلغاء، فلا ولن أستطيع أن أصف إليكم هذه النعم العظيمة، والفرص الثمينة، التي لا يعرف قدرها إلّا من فقدها .

نعم عباد الله ..

لن يعرف الصحة إلا من تجرّع مرارة غرف العناية المركّزة، والأسرة البيضاء، وتقلّب بين الداء والدواء.

ولن يعرف قدر نعمة المال والغنى إلا من قاسى شدائد الفاقة،والمسغبة، والحاجة إلى الناس.

ولن يعرف قدر نعمة القوة والشباب إلّا من احدودب ظهره وضعف بصره، ووهن بدنه، وأدرك الضعف والشيخوخة فعندها يبكي على زهرة الشباب ..

بكيْتُ على الشّبابِ بدمعِ عيني فلم يُغنِ البُكاءُ ولا النّحيبُ

فَيا أسَفاً أسِفْتُ على شَبابٍ نَعاهُ الشّيبُ والرّأسُ الخَضِيبُ

عريتُ منَ الشّبابِ وكنتُ غضاً كمَا يَعرَى منَ الوَرَقِ القَضيبُ

فيَا لَيتَ الشّبابَ يَعُودُ يَوْماً فأُخبرَهُ بمَا فَعَلَ المَشيبُ

ولا يعرف قدر الوالدين إلّا من فجعه الدهر بدفنهما وفراقهما .

الضِّدُّ يُظِهر حُسْنَه الضدُّ وَ بِضِدِّها تتميَّزُ الأشياء

ولا يعرف قدر نعمة الاستقرار والأمن إلا من اكتوى بنار الخوف والرعب، وتقلّب في ظلمات الفوضى والتشريد .

الأمن كلمة في سبيلها تبذل المهج، وتزهق الأرواح، وتتطاير الرؤوس، وتنفق الأموال.

الأمن كلمة عظيمٌ نفعها، كريمٌ مآلها، الأمن مظلة يستظل بها الجميع من حرّ الفتن.

الأمن في الأوطان، الأمن في البيوت، الأمن في دور تعليمنا، وأسواقنا، الأمن في ذهابنا وإيابنا، نعمة يتمتّع بها الحاكم والمحكوم، والغنيّ والفقير، بل البهائم تطمئنّ مع الأمن.

فبالله ثم بالأمن يحجّ البيت العتيق، وتعمر المساجد، ويرفع الأذان، وتردّ المظالم لأهلها، ويأمن الناس على دمائهم، وأموالهم، وأعراضهم.

بالأمن تقام الشعائر والحدود، ويطيب العيش، ويصبح النوم سباتاً، والطعام هنيئاً، والشراب مريئاً، الأمن هو النعمة التي دعا بها إبراهيم عليه السلام فقال : ﭐﱡﭐ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔﳕ ﱠ البقرة: ١٢٦

فقدم الأمن على الرزق، بل جعله قرن التوحيد فقال في دعائه ﱡﭐ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱠ إبراهيم: ٣٥

الأمن شريان الحياة فلا أمن للثروات، ولا أمن للنفوس إذا لم يحفظ الله أمن القرى والديار.

الأمن نعمة، لا يعرف قدرها من أصبح آمنا في سربه، معافاً في جسده، عنده قوت عمره، متكئاً على وسادته، يقلّب من قناة في قناة، وسط رغد ورخاء، وأمن وسراء، ولكن سائلوا القرى من حولكم، سائلوا البلدان المجاورة، عن نعمة الأمن .

سائلوا الوافدين في بلادكم، عن حال أهليهم وذويهم في بلاد الثورات والمظاهرات، والخروج على الحكام والولاة.

سائلو الغريب عن وطنه، والأرملة عن زوجها، واليتيم عن أبيه، والمشرّد عن أهله.

سائلو اللاجئين في المخيمات والكهوف، سائلوهم عن نعمة الأمن التي فقدوها.

سائلوهم عن الأراضي التي انتهكت، والأموال التي نهبت، والدماء التي اهرقت، والقرى التي دمّرت، والمساجد التي خرّبت، والسجون التي ملئت.

سائلوهم عن ألوان القهر والعذاب والتنكيل، فعند جهينة الخبر اليقين .

سائلوهم بعين العقل والعبرة بل شاهدوا بعين الشكر والبصيرة ما تنقله وسائل الإعلام نقلاً حيّا مباشراً يراه القاصي والداني في ما حلّ بإخواننا وأخواتنا الذين غدا أمنهم خوفاً، واجتماعهم شتاتاً، بل فقدوا طعم الحياة، وتمنوا الموت، فقد أحاط بهم الخوف، والجوع، واليأس، والقلق، فالدماء أمام أعينهم تراق، والرقاب إلى الموت تساق، والأعراض تنتهك في أعمال نكراء، وفتنة عمياء، وجاهلية جهلاء، روى البخاري في صحيحه بسنده عن السلف: أنّهُمْ كَانُوا يَسْتَحِبُّونَ أَنْ يَتَمَثَّلُوا بِهَذِهِ الأَبْيَاتِ عِنْدَ الفِتَنِ: قَالَ امْرُؤُ القَيْسِ:

الحَرْبُ أَوَّلُ مَا تَكُونُ فَتِيَّةً تَسْعَى بِزِينَتِهَا لِكُلِّ جَهُولِ

حَتَّى إِذَا اشْتَعَلَتْ وَشَبَّ ضِرَامُهَا وَلَّتْ عَجُوزًا غَيْرَ ذَاتِ حَلِيلِ

شَمْطَاءَ يُنْكَرُ لَوْنُهَا وَتَغَيَّرَتْ مَكْرُوهَةً لِلشَّمِّ وَالتَّقْبِيلِ

ﱡﭐ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﱠ الحشر: ٢

فالعالم اليوم يموج بفتن، وبلايا تجعل الحليم حيران، فقد اختلّ الأمن، وضعفت هيبة الدم المسلم، وحرمته، وعصمته، ورفع المسلم السلاح على أخيه، بل وأفرغ حشوه وقوته فيه، وصدق يوم قال : «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا، حَتَّى يَأْتِيَ عَلَى النَّاسِ يَوْمٌ لَا يَدْرِي الْقَاتِلُ فِيمَ قَتَلَ، وَلَا الْمَقْتُولُ فِيمَ قُتِلَ " فَقِيلَ: كَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «الْهَرْجُ، الْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ» رواه مسلم 2908 .

وها أنت ترى في بلاد الإسلام كيف يقتل المسلم أخاه، بل ربما تفنّن في قتله ويتّم أطفاله، ورمّل زوجته، باسم الإسلام، فالحذر ثم الحذر أن يصاب المرء بفقد الذاكرة، وطغيان النفس ثم لا يستيقظ إلا بعد فوات الأوان، ولاتَ ساعة مندَم .

وقد منّ الله عز وجل على بلاد الحرمين بنعمة الأمن والأمان ﭧ ﭨ ﭽ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅﮆ ﭼ العنكبوت: ٦٧

قد منّ الله عز وجل علينا بالسلامة من الحروب العاصفة، والفتن القاصمة، ولكن يأبى أعداء الله، وطوائف الضلال والانحراف، وخفافيش الظلام، ومثيري الشغب والفوضى، ودعاة الفتنة إلّا أن يمزّقوا الصفّ، ويفرقوا الكلمة، ويسفكوا الدماء عن طريق التفجيرات والإرهاب تارة، وعن طريق المظاهرات والدعوة للخروج على ولاة الأمر تارة.

عباد الله .. إنّ الواجب علينا جميعاً أن نعضّ بالنواجذ على ما أنعم الله علينا في هذه البلاد المباركة الطاهرة بلاد الحرمين الشريفين، من نعمة الأمن والأمان في بلاد تحكم بشرع الله ، وتقام فيها حدود الله، ويؤمر فيها بالمعروف وينهى فيها عن المنكر، مساجدها معمورة، تغلق أسواقها إذا نودي للصلاة، تمنع فيها المسكرات، وتحارب المخدرات، ليس فيها كنائس ولا معابد، لا يطاف بقبورها ، ولا يستغاث بأوليائها، قامت على شرع الله ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

يَقولُ العلامة ابنُ بَازٍ ~ : "العَدَاءُ لهذِهِ الدَّولَةِ عَدَاءٌ للحَقِّ، عَدَاءٌ للتَّوحيدِ، أيُّ دَولَةٍ تَقُومُ بالتَّوحيدِ الآنَ؟! أيُّ دَولَةٍ مِنْ حَولِنَا مِنْ جِيرانِنَا؟! مَنْ هوَ الذي يَقُومُ بالتَّوحيدِ الآنَ ويُحَكِّمُ شَرِيعَةَ الله ويهدِمُ القُبُورَ التي تُعْبَدُ مِنْ دَونِ الله؟! مَنْ؟! وأينَ هُمْ؟! أينَ الدَّولَةُ التي تَقُومُ بِهَذِه الشَّرِيعَةِ؟!" .

ويقول العلامة ابنُ عُثَيمينَ ~: "إنَّ بِلاَدَنَا ولله الحَمدُ أقْوَى بِلادِ العَالَمِ الآنَ في الحُكْمِ بمَا أنْزَلَ الله عَزَّ وجَلَّ، يَشْهَدُ بذلِكَ القَاصِي والدَّاني"، وقالَ أيضًا: "لا يَضُرُّ السَّحَابَ نَبحُ الكِلابِ، لا يُوجَدُ والحَمدُ للهِ مِثلُ بِلادِنَا اليَومَ في التَّوحيدِ وتحكيمِ الشَّريعَةِ، وهِيَ لا تَخْلُو مِنَ الشَّرِّ كسَائرِ بلادِ العَالَمِ، بَلْ حَتَّى المدينَة النَّبويَّة في عَهْدِ النَّبِيِّ وُجِدَ مِنْ بَعْضِ النَّاسِ شَرٌّ، لَقدْ حَصَلَتْ السَّرِقَةُ وحَصَلَ الزِّنَا" .

فالحذر الحذر أن يرضى أحدنا بأي خلل بأمن هذه البلاد ومقدساتها، ولنضرب بيد من حديد على كلّ من سوّلت نفسه في العبث بأمن هذه البلاد ومقدساتها والاعتداء على رجال أمنها، فلنصبر على كل تقصير وخطأ، وجور، وظلم وأن نلزم منهج السلف في تعاملهم مع ولاة أمرهم

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ~ : ((يَجِبُ أَنْ يُعْرَفَ أَنَّ وِلَايَةَ أَمْرِ النَّاسِ مِنْ أَعْظَمِ وَاجِبَاتِ الدِّينِ؛ بَلْ لَا قِيَامَ لِلدِّينِ وَلَا لِلدُّنْيَا إلَّا بِهَا)). مجموع الفتاوى لابن تيمية (28/390) .

وها هو النبي كما في صحيح مسلم يأتيه سَلَمَةُ بْنُ يَزِيدَ الْجُعْفِيُّ فَيقول: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ قَامَتْ عَلَيْنَا أُمَرَاءُ يَسْأَلُونَا حَقَّهُمْ وَيَمْنَعُونَا حَقَّنَا، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ فِي الثَّانِيَةِ أَوْ فِي الثَّالِثَةِ، فَجَذَبَهُ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ، وَقَالَ: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا، وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ»

وهذا حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ: يقول: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا كُنَّا بِشَرٍّ، فَجَاءَ اللهُ بِخَيْرٍ، فَنَحْنُ فِيهِ، فَهَلْ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قُلْتُ: هَلْ وَرَاءَ ذَلِكَ الشَّرِّ خَيْرٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قُلْتُ: فَهَلْ وَرَاءَ ذَلِكَ الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قُلْتُ: كَيْفَ؟ قَالَ: «يَكُونُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ لَا يَهْتَدُونَ بِهُدَييَ، وَلَا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ»، قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ اللهِ، إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ» رواه مسلم .

ولهذا روي أنّ السلطان ظل الله في الأرض ويقال : ستون سنة من إمام جائر؛ أصلح من ليلة واحدة بلا سلطان، والتجربة خير برهان، فلو رجعنا إلى الوراء قليلاً لأخذ العظة والعبرة من شعوبٍ سعت ليلاً ونهاراً، بخيلها ورجلها في إسقاط حكامها، فماذا كان ؟

ضاعت دولتهم، وتفرقوا شذر مذر، وأهين الكريم، وتنكّر لهم اللئيم، واحتقر العزيز المنيع في بلده، وتقطعت الأرحام، وحيل بين الأم وابنها، والرجل وأهل بيته، وظهرت الفتنة في كل بيت.

ولذا يقال: شعبٌ بلا حكومة؛ شعبٌ بلا كرامة، وسلطان غشوم؛ خير من فتنة تدوم.

ﭽ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭼ ق: ٣٧

فلنعتبر ولا نكن كمن أراد أن يطب زكاماً؛ فأحدث جذاما ؟

أو كمن أراد أن يطبّ جذاما؛ فأهلك الأصحاء شيبا وشباناً ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية~ ((وَلِهَذَا كَانَ الْمَشْهُورُ مِنْ مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّهُمْ لَا يَرَوْنَ الْخُرُوجَ عَلَى الْأَئِمَّةِ وَقِتَالَهُمْ بِالسَّيْفِ وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ ظُلْمٌ كَمَا دَلَّتْ عَلَى ذَلِكَ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ الْمُسْتَفِيضَةُ عَنِ النَّبِيِّ ; لِأَنَّ الْفَسَادَ فِي الْقِتَالِ وَالْفِتْنَةِ أَعْظَمُ مِنَ الْفَسَادِ الْحَاصِلِ بِظُلْمِهِمْ بِدُونِ قِتَالٍ، وَلَا فِتْنَةٍ فَلَا يُدْفَعُ أَعْظَمُ الْفَسَادَيْنِ بِالْتِزَامِ أَدْنَاهُمَا، وَلَعَلَّهُ لَا يَكَادُ يُعْرَفُ طَائِفَةً خَرَجَتْ عَلَى ذِي سُلْطَانٍ، إِلَّا وَكَانَ فِي خُرُوجِهَا مِنَ الْفَسَادِ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْفَسَادِ الَّذِي أَزَالَتْهُ))

أقول قولي هذا واستغفر الله ...

الثانية

عباد الله .. الأخطاء موجودة والنقص حاصل، والكمال عزيز، ولكن لا يجوز لعاقل فضلاً عن مسلم مخلصٍ أن يسعى في تحقيق مطالبه، ومصالحه على حساب أمنه ووطنه، فالحذر الحذر من أي دعوة لفتنة أو مظاهرة، أو خروج، أو همزٍ، أو غمزٍ، بولاة أمر هذه البلاد وعلمائها، ورجال أمنها، ولا نلتفت لوسائل التواصل الاجتماعي، وبثّ الشائعات، وتصيد الأخطاء وغمط الحقوق بمقالات وتغريدات وتعليقات، غايتها التأليب، وهدفها التشويش وكفى بالمرء إثماً أن يضيع أمن بلده ويهدر حقوق علمائه وولاة أمره بنشر هذه الرسائل التي ظاهرها ينبيك عن باطنها،

فالوطنُ للجميع، والأمنُ نعمةٌ للجميع، وكلٌّ منّا مسؤولٌ عن الحفاظ على نعمة الأمن ، فلا مكان للمُخرِّبٍ والمفسد بيننا ، فحَذار ثم حَذار أن نغفل عن شكر هذه نعمة الأمن بفساد، أو إفساد، أو انتهاك لحدود الله، أو تضييع لحرمات الله، أو محاربة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولنشكر الله على نعمه بفعل أوامره واجتناب نواهيه ﭽ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭼ إبراهيم: ٧

فإذا مرَّ بك يومٌ وقد سلِمَ لك فيه دينُك وبدنُك ومالُك وعيالُك، فأكثِر شُكر الله تعالى، فكم من مسلوبٍ دينَه، ومنزوعٍ مُلكَه، ومهتُوكٍ سِترَه، ومقصومٍ ظهره، وأنت في أمنٍ وسترٍ وعافيةٍ ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭼ الأنعام: ٨٢